﴿فَقَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لِبَشَرَيۡنِ مِثۡلِنَا وَقَوۡمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ٤٧ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡلَكِينَ ٤٨﴾ [المؤمنون: 47 - 48]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَيْنِ لِما قَبْلَهُما:

لَمّا استكبروا عن دعـــوة مـوسى أنـكـروا اتّـبـاعـه بمدعاة بشريته وانـقـيـاد الـقـوم لهم

لَمّا كان من شأن فرعون وأشراف قومه أن صدّوا عن دعوة موسى وهارون ﷺ وكانوا قومًا مستكبرين عالين؛ تسبب عن ذلك الاستكبار والعلوّ إنكارُهم اتّباعَ الرّسول؛ فأنكروا بشرية الرّسول، فكيف نؤمن لكما والقوم لنا صاغرون منقادون كالعبيد، ونحن أعلى منهم؛ فكان حالهم هذا من التكذيب سببًا لأن نهلكهم بالإغراق[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿لِبَشَرَيْنِ﴾: (بشر) أصْلٌ يَدُلُّ على ظهورِ الشّيء مع الحسن والجمال، وتسمية البشر بهذا الاسم لظهورهم، ومنه بشرة الإنسان وهو الجلد الظّاهر منه؛ ولذلك عبّر عن الإنسان بالبشر لظهور جلده من الشّعر، بخلاف الحيوان المكتسي بالشّعر أو الصّوف أو الوبر، ويكون أيضًا على معنى الانتشار، ومنه أصل البشرة فهو انتشار واسع على ظاهر الشَّيء: كانتشار جلد البدن على ظاهره، وانتشار الشَّعر على الجلد، وكلُّ ما في القرآن من لفظ البشر فهو بمعنى بني آدم ﷺ[2]، ومعنى قوله: ﴿أَنُؤۡمِنُ لِبَشَرَيۡنِ﴾ هل نصدّق إنسانين مثلنا، وهما من لحم ودم كحالنا، وليسا يَفْضُلانِنا بشيء[3].

2) ﴿عَٰبِدُونَ﴾: (عبد) أصلٌ يدلُّ على حَصرٍ شديدٍ للشيء يجعله رقيقًا رِخوًا ناعمًا غير صُلب ولا خشن، والعبد: ضدّ الحرّ،

(1) البقاعي، نظم الدرر: 13/ 146.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات، ومحمّد جبل، المعجم الاشتِقاقيُّ المؤصَّل: (بشر).
(3) الواحدي، التفسير البسيط: 15/ 593.

وأصل العبد من قولهم طريق معبّد، أي: مذلّل، والعبوديّة: إظهار التّذلّل، والعبادة أبلغ منها؛ لأنّها غاية التّذلّل، ولا يستحقّها إلّا من له غاية الإفضال، وهو الله تعالى، وعابدون أي: دائنون فكلّ من يدين للملك العلّام فهو دائن له[1]، ومعنى ﴿عَٰبِدُونَ﴾ في الآية – والحديث عن بني إسرائيل – أنّهم خاضعون متذلّلون كأنّهم عباد لنا[2].

3) ﴿ٱلْمُهْلَكِينَ﴾: (هلك) أصلٌ يدلّ على كسرٍ وسقوطٍ، ولذلك يقال للميّت: هلك، وجعله الرّاغب على ثلاثة أنحاء، **الأوّل:** افتقاد الشّيء عنك، وهو عند غيرك موجود، **والثاني:** هلاك الشّيء باستحالة وفساد، **والثالث:** الموت، فيرد الهلاك بمعنى السّقوط والموت، وأن يرمي الإنسان نفسه في التّهلكة، ويرد الإهلاك في كثير من مواضع القرآن بمعنى الإفناء مؤاخذة[3]، أمّا تعبيره بكونهم من ﴿ٱلْمُهْلَكِينَ﴾ في الآية فهو كونهم "ممّن أهلكهم الله كما أهلك مَنْ قبلهم من الأمم بتكذيبِها رُسُلَها"[4] استئصالًا ومحوًا وإفناءً وغرقًا.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

كان من مقالة فرعون وقومه لموسى وهارون ﷺ أنْ عيَّروهما ببشريّتهما في ادّعاء الرّسالة، وقهر فرعون لقومه وانصياعهم وإذعانهم كالعبيد له، فهم مطيعون له، مؤتمرون بأمره؛ فكان مآل ذلك أن كذّب فرعونُ وملؤه موسى وهارونَ؛ فأهلكهم الحقّ ﷻ أسوةً بغيرهم من الأمم التي قبلها ممّن كذّبت رسلها[5].

كيف نُؤمن لِبَشَرَين، وقومُهما مُطيعون مُنصاعون لنا فأهلكهم الله بموجب تكذيبهم

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، والأزهري، تهذيب اللغة، والراغب، المفردات، ومحمّد جبل، المعجم الاشتِقاقيُّ المؤصَّل: (عبد).
(2) العليمي، فتح الرحمن في تفسير القرآن: 4/ 475.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (هلك).
(4) ابن جرير، جامع البيان: 19/ 36.
(5) مكي القيسي، الهداية إلى بلوغ النهاية: 7/ 4969.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

معنى الفاء ودلالتها في ﴿فَقَالُوٓاْ﴾:

مقالتهم إنكار للاتباع متسبّب عن استكبارهم وعلوّهم

الفاء في ﴿فَقَالُوٓاْ﴾ دالّة على العطف التّرتيبي؛ فرتّبت قولهم هذا على دعوة موسى وهارون ﷺ للإيمان باللّه وحده لا شريك له[1].

مرجع الواو في ﴿فَقَالُوٓاْ﴾:

قول بعض الملأ لبعضهم كقولهم جميعًا

واو الضمير في قوله تعالى: ﴿فَقَالُوٓاْ﴾ لا يرجع إلى فرعون، بل القول قول بعض الملأ لبعضهم الآخر، لكنّهم لمّا تراضوا عليه نُسبَ إليهم على وجه الجمع، وأمّا فرعون فقد كان مستمعًا لهم مُصغيًا لرأيهم ومشورتهم[2].

غرض الاستفهام في ﴿أَنُؤۡمِنُ﴾:

إنكار الإيمان ببشرَيْنِ مثلِهم بانتفاء كونهما ابنين للآلهة، ولكونهما مقهورَين في نظرهم

الاستفهام في قوله تعالى: ﴿أَنُؤۡمِنُ﴾ دالّ على الإنكار والإبعاد[3]، فتقدير قولهم: (ما كان لنا الإيمان بموسى وهارون، وهما بشر مثلنا غير مؤهَّلَين لأن يكونا ابنين للآلهة، بموجب تكذيبهما إلهيّةَ الآلهة)[4]، أو هو دالٌّ على التّعجّب؛ فإنّهم حينما أتوهما بالرّسالة عجبوا من دعوتهما، (فكيف نرفعهم ونحن الغالبون عليهم، وهم تحتنا، ونحن فوقهم، وهم العابدون لنا؟)[5].

معنى اللّام ودلالتها في: ﴿لِبَشَرَيۡنِ﴾:

لا نصدّق موسى وهارون فيما جاءا به وهما من البشر

اللّام في قوله تعالى: ﴿أَنُؤۡمِنُ لِبَشَرَيۡنِ﴾ دالّة على تعدية فعل الإيمان؛ ليكون المعنى تصديق المخبِر فيما أخبر به، فتعديته باللّام فيها دلالة على صدقٍ بالخبر؛ لأجل ثقة المخبِر في نفسه، فيجوز القول: آمنت بمحمّد، أي: برسالته، وآمنت لمحمد، أي: صدّقته،

(1) المطعني، التفسير البلاغي للاستفهام: 3/ 7.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 18/ 64.
(3) المطعني، التفسير البلاغي للاستفهام: 3/ 7.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 18/ 64.
(5) الماتريدي، تأويلات أهل السّنة: 7/ 471.

ولا يجوز القول: آمنت لله تعالى[1]، فهم قد أنكروا تصديق موسى وهارون ﷺ فيما جاءا به من ربّهما بسبب بشريّتهما.

سرّ وصف البشرين بـ﴿مِثْلِنَا﴾:

لمّا أراد فرعون وأشراف قومه الاستدلال على بطلان دعوة موسى وهارون ﷺ بحسب زعمهم، أنكروا أن يكون الرّسول بشرًا شبههم في المأكل والمشرب وقضاء الحاجة وغيرها من الصّفات التي تعتري البشر[2]، ومن كان على هذه الصّفة فإنّه لا يصلح أن يباشر دور الرّسالة بحسب ظنّهم القاصر.

ما كان صِنْوَنا في البشريّة والمأكل والمشرب وغيرهما لا يصلح أن يكون رسولًا

وكان من ضلال ملأ فرعون أنّهم يتطلّبون لصحة الرّسالة أن يكون الرّسول مختلفًا عن المرسَل إليهم في جنسه وماهيّته؛ فتخيّلوا آلهتهم أجناسًا غريبة مباينة من مثل جسد الآدمي، كرأس بقرة، أو جسد أسد ونحوها، ولا يقيمون وزنًا لاختلاف العقول والنفوس، وهي أحرى بظهور التّفاوت، فهي قرارة الإنسانيّة[3] فكان هذا التّصوّر الأعمى منهم سببًا في إنكار أن يكون الرّسول مثلهم.

كما أنّ في وصف البشرين وهما موسى وهارون ﷺ بـ﴿مِثْلِنَا﴾ طَعْنًا فيما أُرسِلا به من الله تعالى في جانب حالهما الذّاتيّ[4]، وهو كونهما من جنس البشر غير مؤَهَّلَين لحمل الرّسالة، وفي التّعبير بـ﴿مِثْلِنَا﴾ أيضًا توكيدٌ لبشريّتهم، وقد أرادوا بذلك مساواة موسى وهارون ﷺ بهم؛ فحقيقٌ عليهم السّير في الحياة الدّنيا وفق ما تمليه عليه عقولهم[5].

دلالة الواو في ﴿وَقَوْمُهُمَا﴾، وإضافتهما إلى ضمير الغائِبَيْنِ:

كيف نؤمن لهما والحال أنّ قومهما الذين لا يؤبه لهم لنا عابدون

الواو في قوله تعالى: ﴿وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ﴾ حاليّة، والمعنى إنكار

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 18/ 64 - 65.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 13/ 146.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 18/ 64.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 18/ 65.
(5) المطعني، التفسير البلاغي للاستفهام: 3/ 7.

أن يؤمنوا لهما، والحال أنّ قومهما لهم عابدون مطيعون[1]، وإضافة القوم إلى ضمير الغائبين لإفادة أنّ هؤلاء أدنى من أن يُهتمّ لهم، ويؤبه بهم، وفيه زيادة إنكار لما كان يَدّعوانِ إليه ﷺ.

القوم من فريقٍ قَصَرنا عبادتهم علينا وهم أحطُّ منّا فكيف يسودوننا

الغرض من تقديم ﴿لَنَا﴾ على ﴿عَٰبِدُونَ﴾:

قدّم الجارّ والمجرور على الخبر في قوله تعالى: ﴿وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ﴾؛ لإفادة قصر عبادة بني إسرائيل عليهم، ولسان حالهم ناطق بأنّ قوم موسى وهارون من أناس لنا عابدون مطيعون خاضعون لا لغيرنا، وهم أحطّ منّا، فكيف تكون السّيادة لهم علينا[2].

هم متيقّنون بأنّ القوم لهم عابدون على وجه الدّوام والثّبات

العدول عن الفعل (يعبدون) إلى اسم الفاعل ﴿عَٰبِدُونَ﴾:

لَمّا كان الاسم دالًّا على الثّبوت والدّوام، عدل عن التّعبير عن عبادة بني إسرائيل فرعونَ من الفعلية (يعبدون) إلى الاسمية ﴿عَٰبِدُونَ﴾؛ إيذانًا بأنّهم متيقّنون بأنّ القوم لهم عابدون على وجه الدّوام والثّبات، غير متحوّلين إلى عبادة غيرهم، واسم الفاعل فيه لحظ الحدث واسميّته فيها لحظ الثبات.

المبالغة في تشبيه الخضوع والانقياد بالعبادة الخالصة

الاستعارة في التعبير باسم الفاعل ﴿عَٰبِدُونَ﴾:

والتّعبير باسم الفاعل ﴿عَٰبِدُونَ﴾ فيه استعارة تصريحية، فالعبودية هنا بمعنى الخضوع لا العبادة بمعناها المعهود؛ لسرّ بلاغيّ وهو المبالغة في تصوير الخضوع والانقياد وتشبيههما بالعبادة الخالصة[3]، فمثلما يكون العبد خاضعًا منقادًا لربّه، فكذلك هؤلاء.

تفريع التّكذيب على إنكار الإيمان والطّعن في بشريتهما

معنى الفاء ودلالتها في ﴿فَكَذَّبُوهُمَا﴾:

والفاء في قوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُمَا﴾ تفريعية؛ فقد فرَّع على قولهم السابق التّصميمَ على تكذيبهم إيّاهما المحكيَّ بقوله ﴿فَكَذَّبُوهُمَا﴾،

(1) المطعني، التفسير البلاغي للاستفهام: 3/ 8.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 18/ 65.
(3) المطعني، التفسير البلاغي للاستفهام: 3/ 8.

أي: أُرسي أمرهم على أن كذّبوهما"[1]؛ فإنّه لم يُغْنِهم أن أنكروا الإيمان بالرّسل، وأنّهم طعنوا في رسالتهما من جهة حالهم الذّاتية، أن زادوا هنا التّكذيب تصميمًا وإصرارًا.

فائدة التعبير بـ ﴿فَكَانُواْ﴾ في الآية:

هلاكهم ثابت متحقّق بموجب كذبهم

وأورد فعل الكون ماضيًا في قوله تعالى: ﴿فَكَانُواْ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ﴾؛ للدّلالة على أنّ هلاكهم بمدعاة كذبهم ثابتٌ متحقّق ثبوتَ وجودِهم في هذه الدّنيا.

دلالة ﴿مِنَ﴾، وإيثار الهلاك مادّة وصيغة:

تعريض بتهديد قريش على تكذيبهم وإيماءٌ إلى سنّته تعالى في إهلاك المكذّبين

﴿مِنَ﴾ هنا بيانيّة للدلالة على أنّهم من جنس المهلَكين، وفي جملة الإهلاك تعريض بقريش تهديدًا لها على أن كذّبت رسول الله ﷺ؛ لأنّ في قوله: ﴿مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ﴾ إيماءً إلى أنّ الذين يكذّبون رسله ستشملهم سنّة الله تعالى في الإهلاك، واستعمال صيغة ﴿ٱلْمُهْلَكِينَ﴾ أبلغ من قوله: فأُهْلِكوا[2].

واستعماله صيغة المفعول في قوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ﴾؛ للدّلالة على عظيم قدرته ﷻ، وفيه إشارة إلى أنّ إهلاكهم لم يكن بأنفسهم من غير مُهلِكٍ مختار يهلكهم، وآية ذلك أنّه تعالى أغرقهم جميعًا؛ فلم تغنِ عنهم قوّتهم[3].

فائدة ذكر جملة ﴿فَكَانُواْ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ﴾:

تكذيبهم سببٌ لأن كانوا من المهلكين

لمّا كان من شأن القوم الذين أُرسِل إليهم موسى وهارون عليهما السلام أن كذّبوهما، كان جزاء المكذّبين أن أهلكهم الحقّ ﷻ بالغرق؛ فكانوا من المنتظمين في سلك الأقوام الهالكين[4].

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 18/ 65.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 18/ 65.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 13/ 146.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 18/ 65.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

البشر والإنسان:

البشر دالّ على المساواة وهذا غرضهم والإنسان ما كان مخالفًا للبهيمية

أورد الحقّ ﷻ لفظ البشر حكايةً عن قوم فرعون في قوله تعالى: ﴿أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا﴾ في معرض إنكار رسالة موسى وهارون ﷺ لكونهما من البشر، والبشر دالّ على الهيئة والظّهور؛ فسمّي النّاس بشرًا؛ لأنّهم أحسن المخلوقات هيئة، ولظهور شأنهم[1]، فحيثما يراد إظهار المساواة استعمل لفظ البشر، فالبشر متساوون وهو ما كان من استفهامهم الإنكاري في أنّهم أرادوا إنكار التّماثل والتّساوي، ومعناه "أنصدّق إنسانين من لحم ودم ليس لهما علينا فضل"[2] أمّا الإنسان فيدلّ على مخالفته البهيمية، واشتقاقه من النسيان، ولا يكون النسيان إلّا من بعد العلم، أمّا البهيمة فلأنّها أُبهِمت على العلم والفهم فأنّى يأتيها النّسيان[3]، وهو غير مراد من إنكارهم رسالة موسى وهارون ﷺ.

الهلاك والموت:

الهلاك موت مع الشّدّة بموجب ما كان منهم من كفر وتكذيب

قوله تعالى: ﴿فَكَانُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ﴾ لمّا كذّب هؤلاء بدعوة موسى وهارون ﷺ، كان مصيرهم الهلاك من الله تعالى، فعبّر بهذه اللفظة (الهلاك)، ومعنى هلك أن يقع الرّجل في أمر شديد عظيم[4]، أمّا الموت فهو ما كان مضادًّا للحياة، وهو نفي الحياة مع سلامة البنية، أمّا الإهلاك فهو ما تكون البنية فيه منقوضة، والحاسّة مُبْطَلة[5]، فالإهلاك هنا أشدّ من الموت، فإنّ الحقّ ﷻ أراده موتًا مع العذاب والوقوع في الأمر الشّديد؛ بموجب ما كان منهم من كفر وتكذيب لِما جاءت به الرّسل.

(1) العسكري، الوجوه والنظائر، ص: 101.
(2) الواحدي، التفسير الوسيط: 3/ 291.
(3) العسكري، الوجوه والنظائر، ص: 80.
(4) العسكري، الوجوه والنظائر، ص: 502.
(5) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 104.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس والثلاثون،
سورة الحَجّ من الآية 51 إلى سورة المؤمنون الآية 63
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخامس والثلاثون، سورة الحَجّ من الآية 51 إلى سورة المؤمنون الآية 63
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 35 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-77-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 35 : المجلد الخامس والثلاثون، سورة الحَجّ من الآية 51 إلى سورة المؤمنون الآية 63.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-77-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7984898 بتاريخ 2024/11/14م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»